

المناهج التربوية والتعليمية عند الموحدين في الغرب الإسلامي The Educational and Pedagogical Curricula of the Almohads in the Islamic West

طالب دكتوراه أحمد رمز الدين بهلول¹ أ.د/ شهر الدين قاله
Ahmed Ramzeddine BAHLOUL Chahreddine KALLA

كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة 1

مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر: تاريخها، مصادرها، أعلامها

chahreddine.kalla@univ-batna.dz

ahmedramzeddine.bahloul@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2024/04/16 تاريخ القبول: 2024/09/15

الملخص:

إن المتأمل في ما أنجز من بحوث ودراسات حول دولة الموحدين يجد أن غلبة التاريخ السياسي والمذهبي عليها والحظ الأوفر فيها، في حين أن الجانب التربوي والتعليمي لا نكاد نجده بارزا وبحجم معتبر مقارنة بسابقه، وإن تم التعرّيج عليه من قبل الباحثين فلا يكون إلا من طُرفٍ خفي وبطريقة توصف بالاختزالية في عمومها، بيد أن حقيقة الواقع كان حكام الموحدين قد مزجوا في منهجهم التربوي بين أهدافهم السياسية وتوجهاتهم المذهبية، حتى وإن لم تظهر جلية صريحة إلا أنها تضمنتها مناهجهم التربوية، حيث أن دولة الموحدين في بداية دعوتها نشأت على أساس من العلم الذي يتجلى في شخص مؤسسها "المهدي ابن تومرت" والمجهودات التي قام بها تجاه أصحابه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الصبيان العلم الشرعي بالإضافة إلى العلوم التي لا يقوم صرح الدولة إلا بها وفق أساس منهجي وعلمي. إن ورقتنا البحثية يتمحور هدفها حول التطلع إلى معرفة حقيقة المناهج التربوية التعليمية التي جسدها الموحدون في سبيل تأسيس دولتهم وشد عضدها أولا، ومن ثم ترسيخ مبادئهم وأفكارهم، وثانيا معرفة العلاقة بينهما للاستفادة منها في إعادة بعث الحياة للدولة الإسلامية والحضارة الإسلامية في عصرنا الراهن واستشرافا لمستقبل مشرق، وذلك يتأتى أساسا بانطلاقة جدية وحركة إصلاحية جذرية للمناهج التربوية والتعليمية للمسلمين، لما لها من دور في تقويم الفكر والعقيدة للحياة والوجود.

الكلمات المفتاحية: المناهج؛ التربية؛ التعليم؛ الموحدون؛ الغرب الإسلامي.

Abstract:

Often people pay attention to the political and sectarian history of the Almohad state, and turn a blind eye to the pedagogical and educational aspect. Although some have dealt with it in a reductionist manner that has no connection to the political aspect, the Almohad rulers, in fact, mixed in their educational approach their political goals and sectarian orientations. Even if it did not appear clearly and explicitly, it permeated their educational curricula, as the Almohad state, from the beginning of its call, arose on the basis of knowledge that was evident in the person of its founder, Al-Mahdi Ibn Tumart, and the efforts he made towards

¹ - المؤلف المرسل.

his companions, enjoining good and forbidding evil, Teaching boys Islamic science, in addition to other sciences, without which the affairs of the state cannot be carried out according to a methodological and scientific basis, The research paper also aims to know the truth about the educational curricula that the Almohads embodied in order to establish their state and Strengthen their support and then consolidate their principles and ideas, and know the relationship between them in order to benefit from them in reviving the life of the Islamic state and Islamic civilization in our current era.

Key words: curricula; education; Learning; Almohads; the Islamic West.

مقدمة:

إن البحث في مجال المناهج التربوية والتعليمية في الفترة الوسيطية يعد من الأبحاث التاريخية الإسلامية التي يستفاد منها في العديد من الميادين في عصرنا الحاضر؛ التربوية والتعليمية والفلسفية والسياسية، وذلك للأثر البالغ الذي يؤديه في تكوين شخصية الناشئة، وتظهر ثمراته على المستوى التربوي والتعليمي، وعلى مستوى تصوراته وتفكيره ونظراته للحياة وتصوره الصحيح لعلاقة الإنسان مع الإنسان، ونمط معيشته، فضلا عن توجيه الرأي العام للمجتمع الذي تشتغل عليه الأطراف السياسية انطلاقا من توظيف تلك المناهج التربوية والتعليمية.

انطلاقا من هذه الحقيقة التربوية المرجوة فإن المقال يحاول تسليط الضوء على أبرز وأهم المحطات التاريخية التي مرّ بها الموحدون في مجال التربية والتعليم، والمناهج التي اعتمدها في سبيل توطيد دعوتهم، ورفع شأن دولتهم حكما ومحكومين أمام التحديات التي واجهوها، مبرزين في ذلك خصوصيات ومزايا دعوتهم الموحدية ومنهجها التربوي عموما، وما اكتنفه من آراء فكرية على وجه الخصوص، فضلا عن مدى الاستجابة لتلك الآراء، وما بُذل من جهد في سبيل ترسيخها.

أما عن أهم المصادر التي استفينا منها الروايات التاريخية وتأسس على إثرها موضوع بحثنا فكانت مما قدمه لنا ابن القطان، والبيذق، وابن أبي زرع، وعبد الواحد المراكشي، ولسان الدين ابن الخطيب، وابن خلدون وغيرهم من ثروة معرفية كشفت لنا المعالم الكبرى للموضوع، في حين كانت معظم التعليقات التي تبنتها الدراسة قد أُخذت من مراجع عديدة أبرزها مؤلفات: "المنوني"، و "حسين أسكان"، و "عبد المجيد النجار"، و "عبد الله علي علام"، فضلا عن كتب التراجم وبعض المقالات العلمية المنشورة.

والملاحظ أن الآراء حول النظرة إلى التاريخ الموحي بين ممد ومشنع قد تباينت واختلقت، فمنهم من يغض الطرف عنه فلا يريد الخوض فيه أصلا ومنهم من يبين موضوع المنهج التربوي والتعليمي الذي اتبعه الخلفاء الموحدون وخاصة زعيمهم الروحي وإمامهم "المهدي ابن تومرت" (524هـ) وما اكتنفه من ملامح سياسية تستوجب إزالة الغبار والوقوف على حقيقاته، ومنه فإننا نجد أنفسنا أمام تساؤل جوهري يتمحور حول مدى اهتمام الخلفاء الموحدين بمناهج التربية والتعليم ومدى الاستفادة من هذه المناهج في إعداد أجيال الدولة الموحدية، ونشر الدعوة الموحدية أمام مريديهم وخصومهم.

أولا: اهتمام الخلفاء الموحدين بالتربية والتعليم وخلفياته السياسية

كان لحكام الموحدين شغف كبير للنهوض بمجال التربية والتعليم من أجل نشر دعوتهم ودعم أركان دولتهم، التي هي قائمة في الأساس على العلم، فمؤسس دولة الموحدين ابن تومرت كان عالما مناظرا جمع بين علم المشرق والمغرب، فكان لعلمه أثرا واضحا في سياسته مع رعيته أو الخلفاء الذين تولوا

الحكم من بعده، حيث كانوا أئمة في العلوم قبل أن يكونوا أئمة في السياسة والحكم، لذلك أولوا اهتماما بالغا للتربية والتعليم من خلال عدّة محطات منها: بعث روح الحياة في بعض أماكن العلم كالمساجد والرباطات¹ وتشبيد أخرى جديدة، وإنشاء المدارس لتعليم الطلبة والتخصص في مجالات معينة كالإدارة والملاحة وغيرها، كما يظهر اهتمامهم بالتربية والتعليم في جعل التعليم إجباريا على كل الموحدين دون استثناء، وجلبهم للعلماء النوابع من أجل الاستفادة من علومهم ومعارفهم، علاوة على أن كل هذه الآليات السالفة الذكر كان يتخللها ترسيخ للمبادئ الموحدية التي تنبأها دعائها، ومن ثم يتبادر إلينا التساؤل الهام الآتي: هل كان لجهود واهتمامات الخلفاء الموحدين التربوية والتعليمية أغراض سياسية؟ أو بمعنى آخر: هل اهتمام الخلفاء الموحدين بالتربية والتعليم كانت تحكمه خلفيات سياسية؟

وبيانا لهذا فإننا نمر بعدة سياقات تاريخية كالآتي:

أ- **اهتمام الخلفاء بمدارس تكوين الموظفين، وقيامهم بإنشاء أماكن ودور التعليم:** لقد بذل الخلفاء الموحدون جهودا جبارة لإرساء دعائم دولة قوية قائمة على العلم والمعرفة، لذلك تنافسوا في تشييد صروح العلم والتربية، قناعة منهم بضرورة وأهمية التعلم من أجل تأصيل قاعدة متينة تنبني عليها مقومات حضارتهم ودولتهم التي قامت بالعلم والدين؛ وما اشتمل عليه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله من واجبات دينية.. وغيرها من المفاهيم التي تتدرج تحتها (العلم والدين). وننبه هنا على أن الموحدين لم يبدأوا تأسيس ذلك من فراغ، بل نجدهم قد حافظوا على ما ورثوه من علوم وفنون من دولة المرابطين، "فاستعملوا أماكن التعليم التي تأسست قبلهم كالكتاتيب، والمساجد، والرباطات، والزوايا"²، إلا أنهم لم يكتفوا بما وجدوه فجّدوا واجتهدوا في بناء معالم جديدة في التربية والتعليم منذ بداية دعوتهم، وقد ذكر ذلك ابن خلدون في سياق حديثه عن ابن تومرت في قوله: "فزل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسمئة، وبنى رابطة للعبادة، فاجتمعت إليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة³ في التوحيد"⁴، مستلهما ذلك من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، فأول ما أقدم عليه عند دخوله المدينة المنورة بناء المسجد النبوي، لاعتبارات عدة من أهمها التربية الدينية التعليمية، وهذا ما يقرره الشيخ "صفي الرحمان المباركفوري" في قوله: "بأن المسجد النبوي لم يكن موزعا لأداء الصلوات فحسب، بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته"⁵.

وعلى هذا النهج سار من أتى بعد ابن تومرت من الخلفاء والملوك فأولوا أهمية بالغة لتشبيد وتشجيع دور العلم والتربية والعبادة والتي تتمازج فيما بينها لتؤسس علاقة جدلية لا تتفك عن بعضها البعض "فالعبادة غاية التربية"⁶، فلا عبادة بغير علم ولا علم بغير تربية، وهذا ما يجعل المنبع الذي تنبثق منه هذه الثلاثية واحدا ومشتركا متمثلا في دور المساجد والرباطات والزوايا والمدارس وغيرها من الأماكن التي يجتمع فيها كل من العلم والعبادة والتربية، وهي التي تضمنها مجال دراستنا أساسا.

وعلى سبيل التمثيل لما ذكرناه من اهتمام الموحدين بمجال التربية والتعليم "تجديد عبد المؤمن بن علي (ت558هـ) مسجد تلمسان الجامع، وبنائه بها قصر المشورة لنفسه سنة (540هـ)، وعقده لمجالس العلم بها"⁷، وما يؤكد شدة ذلك الاهتمام ما ذكره ابن أبي زرع في قوله: "ثم دخلت خمسين وخمسمئة، فيها أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بإصلاح المساجد وبنائها في جميع بلاده"⁸، فكانه يؤسس لنهضة علمية تحمل لواء الدولة الجديدة وتنشر أفكارها ومبادئها على أوسع نطاق، ففيها تقام الصلوات وتُخطب الخطب، وتقوم المساجد بأداء رسالة الإصلاح بين الناس، "حتى أصبحت جامعات تدرس فيها المراحل النهائية للتعليم مثل: جامع القراويين بفاس وجامع القيروان والزيتونة بتونس، وجامعي الأعظم والقصبة

ببجاية"⁹، ومن بين المساجد التي شيدها الموحدون ورفعوا مناراتها عاليا: "جامع الموحدين برباط تازي، وجامع تينمل، وجامع الكتبية، وجامع القصبه بمراكش، وجامع الأندلس بفاس، والمسجد الجامع ومسجد حسان بالرباط، وفي الأندلس جامع القصبه الكبير بإشبيلية."¹⁰ وغيرها.

وقد يدعي البعض أن المدارس لم تكن موجودة على عهد الموحدين¹¹، وأنها وجدت مع بداية حكم المرينيين، وهذا خلاف الحقيقة فقد ذكر صاحب الأنيس المطرب أن الخليفة الموحدي يعقوب ابن عبد المؤمن المكنى بأبي يوسف (ت 595هـ) قد "بنا المساجد والمدارس في بلاد إفريقية والمغرب والأندلس"¹²، كما أن محمد المنوني قد ذهب إلى أن الخليفة عبد المؤمن الموحدي قد اتخذ مدرسة خاصة لتخريج الموظفين وإدارة الولايات والأقاليم¹³ مستندا في ذلك إلى ما جاء في الحلل الموشية من أن "الخليفة عبد المؤمن قد ربي الحفاظ أي صغار الطلبة على حفظ كتاب أعز ما يطلب وغيرها من تأليف ابن تومرت، كما حملهم على سرعة الحفظ والتربية لما يريده، فلما أستوفوا تكوينهم جعلهم على رأس ولاية الأعمال والرئاسة"¹⁴.

وقد ورد ذكر هذه المدارس في بعض المراجع مثل: دار تعليم البحرية¹⁵ ودار تعليم إدارة الأقاليم¹⁶ التي يمكن أن نعتبرها مدارس خاصة ليست كغيرها من مدارس العوام سواء من حيث تكوينها أو مقصدها، ومما يُستأنس به أيضا من اهتمام بهذه المؤسسة ما ذكره لويس سيديو حين قال: "وقد جدد هؤلاء الموحدون لإسبانيا الرونق الذي كان لها زمن الأمويين؛ فقد جدد كل من عبد المؤمن ويوسف ويعقوب حب التزين والأعياد وحاموا عن العلوم والصنائع، وعملوا بالشرعية، وأسسوا مدارس عامة وأخرى للشبان"¹⁷، ومما يستشف من كلامه أن الاهتمام بتأسيس المدارس لم يقتصر على خليفة بعينه، بل كان منهج الكثير من خلفاء الموحدين وذلك في سبيل إحياء الحركة العلمية - مقابل الركود الذي عرفه عهد المرابطين الذي سبق حكم الموحدين مباشرة- حتى يشعر الناس بجدية النظام الجديد في مختلف إصلاحاته، ومن خلال ذلك يسهل على ولاة الأمر ترسيخ الأفكار التي قامت عليها الدولة.

وقد ذُكر عن الخليفة يعقوب المنصور (ت 580هـ) "أنه بنى المساجد والمدارس في بلاد إفريقية والمغرب والأندلس، وبنى (المارستان)¹⁸ للمرضى والمجانين وأجرى المرتبات على الفقهاء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم"¹⁹، وهذا ما منح للدولة الموحدية وخلفائها صورة مشرقة في العالم رغم ما يذكر من بعض التجاوزات التي قام بها بعض القادة من سفك للدماء بغير وجه حق شرعي، فيذكر ابن القطان أن: "ابن تومرت كان يعظمهم في كل وقت ويُذَكِّرهم، ومن لم يحضر أدب، فإن تمادى قُتِل، وكل من لم يحفظ حربه عزز بالسياط، وكل من لم يتأدب بما أدب به ضُرب بالسوط المرة والمرة، فإن ظهر منه عناد وترك امتثال الأوامر قتل، ومن داهن على أخيه أو أبيه أو ابنه أو من يَكْرُم عليه قتل"²⁰.

إلا أن هذا الكلام يصعب التسليم به بعفوية مطلقة لأن ما جاء فيه من ذكر للعنف وسفك للدماء دون مبرر شرعي يناقض تماما مع ما جاء عن المهدي ابن تومرت من ورع وزهد وعلم وبعد عن كل ما له علاقة بملذات الحياة الدنيا، سواء في الحكم أو الحياة العامة إلى آخر يوم في حياته، لدرجة أنه كان حصورا لا يتزوج النساء حتى لا ينشغل عن شؤون الأمة فكيف للرجل أن يضرب بفقهه وعلمه وتقواه وزهده عرض الحائط، ويسرف في القتل والتعذيب بذريعة تحقيق أغراضه السياسية، وفي المقابل أن هذا يتنافى مع حنكة ودهاء المهدي الذي تفوق به على كبار فقهاء وعلماء المرابطين عند مناظرته لهم، ثم يقال بعد ذلك بأنه يسلط سوطه وسيفه على طلبته وأتباعه دون تأصيل شرعي وهو في بداية دعوته وتأسيس دولته فهذا يعاكس الحكمة، ثم أن مثل هذه السلوكات تنفر الأتباع وتشتت شملهم.

ومما يستأنس به في هذا السياق ما أورده عبد المجيد النجار في قوله: "إن الباحث في شخصية ابن تومرت وما كانت تقوم عليه من التقى والورع، والزهد والتقشف، يصعب عليه تصديق تلك الأحداث، ويميل إلى تكذيبها، خاصة وأن النقاد المعتدلين الخبيرين بشؤون المغاربة مثل المراكشي وابن خلدون لم يوردوا تلك الأحداث، والأرجح أن تكون تلك المقولات المنسوبة إليه من صنع الهوى، إما من قبل أولئك المغالين فيه كرها وحسداً، أو من قبل المغالين فيه حبا وتعظيماً من العامة وضعفة العقول ظناً منهم أن ذلك أمر غير قبيح، بل لعله مستحسن مثل ما يصطنع بسطاء الصوفية الكرامات المزورة وينسبونها إلى شيخهم"²¹، ولقد تعرض الباحث لخضر بولطيف في كتابه (فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي) إلى مجموعة من الذين نهجوا منهج (التاريخ الموجه) كعبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الصنهاجي الأشيري (ت 561هـ)، ومحمد بن جبير الأندلسي (ت 614هـ)، وأبو الحجاج يوسف ابن غمر (ت 761هـ) والذين عرفوا بالتأريخ للدولة الموحدية²².

أما ما اتصف به من جدّة في الطبع وقسوة وعنف، التي اكتسبها من البيئة الصعبة البربرية التي عاش فيها، فله كان يهدف من خلالها إلى ترسيخ وتأصيل مبدأ تربوي يتجلى في الولاء التام له، والذي يورث فيما بعد الطاعة المطلقة في المنشط والمكروه، والتي يستطيع من خلالها إنشاء قاعدة متينة ينشأ عليها صرح الدولة الموحدية، في مقابل الامتثال لأوامر القائد الأعلى، والأصوب هو أن ينتهج المربي أو المصلح أسلوب الصرامة في التأديب خاصة إذا شاع التسبب والفساد، حتى لا يُأخذ الأمر بالتهاون واللامبالاة، ويكون أيضاً مدعاة لرجوع الناس إلى الجد والاجتهاد.

كما أن الأمر المطلوب في ذلك هو التوسط في أحكام التأديب والعقاب دون مبالغة وغلو فيه، لما قد يفرض إلى الوقوع في المحذور فتستباح دماء الناس وأعراضهم، وتكون في ذلك مخالفة عظيمة لأحكام الشرع وتشويه لصورة الإسلام السمحاء، وقد لا ينسجم ذلك الأسلوب مع كل أصناف الطبقة المستهدفة في العملية التربوية من الناس فيقوموا بالانقلاب في شكل ثورات وتمردات إما ظاهرة أو باطنة مناهضة لتلك الصور من العنف والاضطهاد والتشدد، والمثال على ذلك ما قام به المهدي من صك مصطلح سماه بـ "موقعة التمييز"، ميز فيها بين المخلصين فتركهم، وبين المنافقين فقتلهم"²³، هذا إن سلمنا بمصادقية تلك الروايات التي وصلتنا عن قادة الموحدين وابن تومرت على وجه الخصوص وأردنا تقييمها.

يتضح مما سبق أن الموحدين قاموا فعلاً بإحياء دور العلم والعبادة، التي كانت موجودة من قبل، وبعثوا روحاً جديدة فيها تكون وفق منهجهم وفكرهم الإصلاحية القائم على معاداة عقيدة المرابطين "المجسمة"، والتقليد المذهبي الأعمى -في تصورهم-، وذلك لم يتم إلا عن طريق تلك الأماكن التربوية والتعليمية التي تُبث فيها الأفكار والمبادئ الجديدة والمختلفة، والتي جاء بها ابن تومرت في بداية دعوة الموحدين "ليؤصل ما يريد من الأحكام والأقوال على النهج الذي يخدم أهدافه"²⁴ والتي لم يعرفها المجتمع قبل ابن تومرت؛ ولما كانت تعتبر تلك الأفكار غريبة عقدياً وفقهياً وكلامياً من تأسيس المهدي توجّه خلفاء الموحدين الأوائل إلى مثل هذه المنابر العلمية والتربوية لغرسها في المجتمع وتوضيحها للناس كي تصير لهم سهلة التقبل والرسوخ.

ب- إجبارية التعليم ومجانيته: من بين الأمور التي تفتن لها الموحدون هي استقطاب أكبر عدد من الناس إليهم من أجل تعليمهم الآراء والأفكار (التومرتية) الجديدة والمحافظة على الأصول الصافية القديمة وفي سبيل تحقيق ذلك لم يجدوا وسيلة أنجع وأسرع من جمع الناس في دور العلم بمختلف أنواعها وانتهجوا منهاجاً خاصاً من أجل ضمان تحقق أهدافهم على أوسع نطاق وأقصر وقت فتفتنوا إلى وسيلة

مستحدثة هي إجبارية التعليم ومجانيته، وراح في سبيل ذلك خلفاء الموحدين يشدون الأزر على رعاياهم بحملهم على التعلم والتعليم، علما منهم بما يعترى النفس البشرية من تقاعس وتكاسل في تحصيل العلم النافع وما ينجر عنه من جهل وتخلف وفساد في العقول، ومما جعل الموحدين يأخذون بالإلزامية التعليم ما خلفه المرابطون من جهل وفساد في العقائد وسط العامة على عهدهم المتأخر في تصورهم، وهذا ما ذكره عبد المجيد النجار، حيث رأى بأن "ما انتهى إليه المهدي في تحليله للواقع المغربي هو أن ما طرأ عليه من فساد في ميادين مختلفة إنما أفضت إليه تصرفات ثلاثة طوائف تعاونت على نشر البغي والفساد وهي: طائفة الحكام المرابطين، فإنها أفشت الفساد العقدي بما بثت من مقولة التجسيم في التصور الإلهي، وطائفة العلماء الذين يستعملونهم في إنفاذ سياستهم، وطائفة المعاونين لهم من المنافقين الانتهازيين من العامة والدماء"²⁵.

كان لعبد المؤمن بن علي الصدارة في سن هذا القانون حيث جاء في كتاب العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين "أن التعليم الإجباري نوع آخر من مناهج التعليم لدى الموحدين، ويقوم هذا المنهاج على أنه يجب على كل من انضوى تحت راية الموحدين أن يتعلم الضروري من العقائد وما يتعلق بالصلاة"²⁶، ومن بين ما يرجع إليه في هذا الباب ما جاء في رسالة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي إلى وزيره أبي جعفر بن عطية إلى أهل بجاية أنه قال: "وأبتدئ بأول مباني الإسلام فأخذ الناس بعلم التوحيد الذي هو أساس الدين ومبناه..، وقد بني وجوب العلم بالفرائض على وجوب العلم به...، ويؤمر الذين يفهمون اللسان العربي ويتكلمون به أن يقرؤوا التوحيد بذلك اللسان من أوله إلى آخر القول في المعجزات ويحفظوه ويفحصوه، ويلزموا قراءته ويتعاهدوه، ويؤمر طلبة الحضر ومن في معناهم بقراءة العقائد وحفظها وتعاهدها على سبيل التفهم والتبيين والتنبه والتبصر، ويلزم العامة ومن في الديار بقراءة العقيدة التي أولها: "اعلم أرشدنا الله وإياك" وحفظها وتفهمها، وأشمل هذا الإلزام الرجال والنساء والأحرار والعبيد، وكل من توجه عليه التكليف"²⁷.

ولعل هذه الرسالة هي المستند الذي بنى عليه عبد الله علي علام قوله بأن عبد المؤمن: "كان أول ملك مغربي فرض على شعبه التعليم وجعله مجانياً، بل لربما كان أول ملك فعل هذا الصنيع في العصور الوسطى"²⁸، فكان هذا الإجراء خطوة أولى في سبيل نشر مبادئ الموحدين بواسطة هذه المراكز التعليمية التي انتشرت في جميع أنحاء مملكته²⁹، و أظن أن هذا الإلزام كان سلاحاً ذو حدين حتى نكون منصفين وموضوعيين، لأن إلزامهم الناس بطلب العلم لم يقتصر على كتب العقيدة (التومرتية) والتوجهات الفكرية التي تشتمل على المهدوية والتعاليم الشيعية وغيرها من الأفكار الشاذة عن منهج أهل السنة، بل ردوا الناس إلى الأصول وكتب الحديث وأحرقوا كتب الفروع محاولة منهم رد الناس إلى المنبع الصافي وعودة الاجتهاد، وهذا ما سنتعرض له فيما بعد، ومن جانب آخر حتى وإن ابتغى الموحدون بتعميمهم للتعليم على جميع شرائح المجتمع وإجباريته ونشر مبادئهم على أوسع مدى³⁰.

فهذا لا يقدح بالأساس في إنجازاتهم وجهودهم في شتى المجالات التي عرفت دولتهم وخدمتهم لأمتهم، فهم مقتنعون بمبادئهم ويرون أنها من الوسائل الناجعة لاستتباب أمر الدولة وقوتها، وتغيير المنكر والمفاسد التي كانت في عهد المرابطين، "فبمجرد أن استتب لهم الأمر وترسخت أركان الدولة بدأ الخلفاء الموحدون في التخلي والتراجع عن بعض المبادئ الأساسية والتي عرفت بداية دعوتهم كإنكار فكرة المهدوية والعصمة في عهد الخليفة أبو يوسف"³¹.

ونقل لنا ابن صاحب الصلاة (ت594هـ) نظرة بعض الموحدين في السياسة التعليمية بقوله: "رأي بعض الموحدين كان أن لا يحجروا على الناس في تفكيرهم، ولذلك فقد ازدهرت الفلسفة وارتفعت رؤوس المفكرين في كل زاوية، بل إن أفقهم كان لا يضيق عن سماع النقد"³²، وذلك انطلاقاً من ترك التقليد المذهبي (المالكي) وفتح باب الاجتهاد واستنباط الأحكام من النصوص مباشرة، وهذه وجهة نظر ابن صاحب الصلاة علماً أنه كان من بين المؤرخين الذين عايشوا أحداث الموحدين والمادحين لسياستهم وتأويل معانيها إلى ما يخدم ذلك، وهو يكن بذلك الولاء التام للخليفة.

إن إلزامية التعلم مع مجانيته تعد خصيصة تميز بها الموحدون على خلاف سابقهم، ثم إن تحصيل طبقات المجتمع لمستوى علمي من شأنه أن يضفي عليه صبغة حضارية تمكنهم من الوعي وتجاوز الكثير من العقبات التي تنتش بینه بأثر الجهل، ثم إن جعل التعلم مجاني وعدم حمل الناس قهراً على توفير حقوقه المادية مراعاة وتيسيراً على الطبقات الضعيفة داخل المجتمع يزيد من الرضا على الحكام ويثبت الولاء لهم.

ج- الاهتمام بالعلماء واستدعائهم للتدريس: سار الموحدون على نهج كثير ممن سبقهم من خلفاء المسلمين في حب أهل العلم واستدعائهم من مختلف الأقطار والبلدان وتقريبهم منهم، ومن أمثلة ذلك ما روي عن عبد المؤمن أنه "كان مؤثراً لأهل العلم، محباً لهم، محسناً إليهم، يستدعيهم من البلاد إلى المكوث عنده والجوار بحضرته، ويجري عليهم الأرزاق الواسعة ويظهر التتويه بهم والإعظام لهم"³³، فعلى سبيل المثال نذكر أبو بكر بن زهر الطبيب العالم، الذي يعتبر من أعظم أطباء العصور الوسطى، "الذي ينتمي إلى أسرة بني زهر الإشبيلية، أخذ عن أبيه وجده العلم والعمل، وبرع في الحديث والأدب، وحظي في عهد عبد المؤمن وابنه يوسف وحفيده يعقوب بنفوذ كبير، وجاء عريض، وتوفي في صدر عهد الخليفة الناصر سنة 565هـ بمراكش، وقد أتاها ليزور بها ودفن هناك في المكان المعروف بمقابر الشيوخ، وعمر نحو الستين سنة"³⁴.

لقد حظي أهل العلم بمكانة عظيمة جلية من طرف الخلفاء والأمراء الموحدين، فبمجرد أن يذيع صيت عالم ما في أي قطر من الأقطار حتى تجد الحكام يتشرفون باستدعائه للاستفادة من علمه في مختلف ضروب المعرفة، فنال بذلك أهل العلم حظاً عظيماً وجزاء جزيلاً، ومن أمثلة ذلك: أن يوسف جعل المرتبات للأطباء والمهندسين والكتاب والشعراء³⁵، وأجرى يعقوب المرتبات على العلماء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم³⁶، وأعطى عبد المؤمن للشاعر أبو عبد الله محمد بن أبي العباس التيفاشي على بيت واحد أنشده إياه من قصيدة له في مدحه ألف دينار³⁷، ونماذج توقيير العلماء وكرمهم ووفرة العطاء لهم كثيرة، وهذا مما أسهم في النهوض العلمي المشهود عند الموحدين وتشجيعهم على التفاني فيما وُكِّل إليهم من مهام التدريس والتعليم والاجتهاد.

وقد شاع عندهم ما يعرف بمجالس الخلفاء والملوك والأمراء، "التي يُعرض فيها مختلف قضايا العلم والأدب والفنون أمام خلفاء الموحدين وأمرائهم وملوكهم، وكان لهذه المجالس نظاماً خاصاً تتبعه، فكان الخليفة يتصدر المجلس، ثم خطيب الجماعة، ثم قاضي الجماعة، ورئيس الأطباء فأكبر علماء الحضرة، ثم باقي الأعلام الحاضرين على اختلاف مراتبهم"³⁸، كما أن هذه المجالس كانت راقية لا مكان فيها للهزل والهزل، فحوت تلاوة لكتاب الله العزيز ومدارس الأحاديث الصحيحة النبوية والاستغفار بالعلوم الشرعية، وإقام الصلوات، وهكذا كان دأب أصحابه³⁹.

وتأكيداً لذلك يقول حسن جلاب عن هذه المجالس: "إذا كانت الحركة الفكرية في المغرب قد نمت وترعرعت في عهد الدولة المرابطية، فإنها قد بلغت أوج عظمتها وازدهارها في العصر الموحدي" ثم يواصل مبينا عوامل ازدهارها فيقول: وقد توفرت لها عوامل ساعدت على ذلك أهمها:

1- حرية الفكر؛

2 - هجرة العلماء إلى المغرب؛

3- انتشار الأمن؛

4- تدفق الأموال على الدولة... وغيرها⁴⁰.

لقد كان حضور تلك المجالس فرصة طيبة للعلماء، إما أن تصل بهم إلى مكانة عالية، أو أن تسقط مكانتهم تماماً⁴¹، "فكان ممن يحضر مجلس أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف، العالم أبو بكر ابن طفيل (ت581هـ)، وكان الخليفة شديد الشغف به، حتى أنه كان يمكث في القصر عنده أياماً ليلاً ونهاراً لا يظهر، ولم يزل أبو بكر هذا يُقدّم عليه أهل العلم من جميع الأقطار وينبئه عليهم، ويحثه على إكرامهم والتتويه بهم، وهو الذي نبهه على ابن رشد الحفيد^{42 43}، فحينئذ عرفوه، وارتفع قدره عندهم"⁴⁴، والشيخ أحمد بن يحيى بن السعود العبدري المكنى بأبي العباس المتوفى 599هـ، "كان يلبس ملابس غريبة ويقوم بعبادات مميزة ويحضر مجلس خواص الطلبة ومجتمعهم بدار الإمارة، ومع ذلك فلم يزل يحاضر طلبة العلم بمجلس المنصور الخاص بهم، يذاكرهم بين يديه، مرعي الجانب ملحوظاً بعين مكرمه، محترماً لشيخوخته واضطلاعه بالمعارف"⁴⁵.

يظهر لنا مما ذكرناه أن ولاة أمر المسلمين في ذلك العهد قد أولوا اهتماماً بالغا ومكانة عظيمة للعلماء، فما من عالم جليل بزغ فجره إلا وقد حلّ ببلاطهم، ونهلوا من علمه وأكرموا بعلو الرتب والرواتب، ثم إن حضور أهل العلم والفقهاء الأقحاح في مجالسهم وجعلهم من الحاشية دون الاقتصاد على أهل السياسة فقط من أكبر الدلائل على حرصهم لما ينفع رعيتهم ويقودها إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة والارتقاء بها وفق ما نهلوه من معين أولئك العلماء، وعلامة جليلة على رقي الأمة آنذاك العهد.

د- ترسيخ المبادئ الموحدية في العملية التربوية: إن من أهم الأهداف التربوية في العملية التعليمية عند الموحدين ترسيخ المبادئ الموحدية، فعند الكلام عنها فإننا نخرج بالحديث عن المذهب التومرتي المنسوب إلى مؤسسه -محمد ابن تومرت- الذي وضع هذه المبادئ والتي قامت عليها دولة الموحدين وطبقها في برنامجه التعليمي والتربوي الذي أشرف عليه بنفسه في بادئ الأمر، ثم سار على نهجه كثير من الخلفاء من بعده إلى أن جاء عهد الخلفاء المتأخرين فبدأوا في التنازل عليها شيئاً فشيئاً حتى نقضوا فكرة المهدوية تماماً.

ظهرت المبادئ الموحدية مناهضة للدعوة المرابطية، فكانت دعوة ابن تومرت هي خلاصة دراساته التي قام بها في المشرق والمغرب حيث التقى بكثير من أئمة الفكر والدين ولما عاد إلى المغرب أخذ ينشر مذهبه ودعوته التي استمدت مكوناتها من مذاهب متعددة فقد نادى بالإمامة والعصمة على مذهب الشيعة، ويكره التأويل على رأي ابن حزم، ويتشدد في العقيدة تشدد الحنابلة، ويفهم التوحيد فهم المعتزلة، ويذهب في كثير من المسائل على مذهب الأشاعرة⁴⁶، وفي أغلب الأحيان كانت هذه المبادئ لا تخرج عن محاور ثلاثة في العملية التربوية: التوحيد، والمهدوية، ومعاداة كتب الفروع.

فأما التوحيد فكان أول ما نادى به في دعوته وبدأ في تعليمه لطلابه من خلال كتابه (المرشدة) كما أسلفنا الذكر، وكتابه (أعز ما يطلب) الذي اشتمل على صيغة التوحيد، وحملهم على الخوض في علم

الاعتقاد الذي لم يكن أحد من أهل ذلك العصر ببلاد المغرب الإسلامي يخوض في شيء منه⁴⁷، كما كان ابن تومرت من "أوحد عصره في علم الكلام وعلوم الاعتقاد"⁴⁸، حيث كان أول من فرض على المغاربة الأخذ بمذهب التوحيد الكلامي⁴⁹، وألزم أصحابه بدراسته، وكان الموحدون على العموم يعتبرون من لم يعرف العقائد على سبيل التفصيل وعلى طريقة الأشعري كافراً ليس له معه من الإسلام إلا الاسم ومن ثمّ سمي أصحابه بالموحدين⁵⁰، وإن كان المذهب الأشعري ليس من صنع ابن تومرت إلا أنه قد تبني بعض مسائله كما ذكرت سابقاً فاكنتسح المغرب بأجمعه نتيجة دعوته⁵¹، وكان يسمى أصحابه بالطلبة، وأهل دعوته بالموحدين تعريضاً بلمتونة المرابطية في أخذهم بالعدول عن التأويل وميلهم إلى "التجسيم"⁵²، فتسمت الدولة باسم أتباعها دولة الموحدين في مقابل إنكارهم على المرابطين تجسيمهم للذات الإلهية واتهامهم بالكفر.

ومن مبادئ الموحدين التي حرصوا على تعليمها للناس فكرة المهدوية، فقد "كان ابن تومرت في بادئ الأمر يشيع عند من يثق به ويسكن إليه أنه المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً"⁵³، ليستطيع نشر دعوته فتزيد شعبيته ويزيد تعلق الناس به ويقول بعض المؤرخين أنه استمد هذه الفكرة من عند الشيعة في المشرق، والبعض الآخر ينفي ذلك محتجاً بأنها كانت متجذرة أصلاً في المغرب قبل أن يتبناها ابن تومرت⁵⁴.

ومن المؤكد أن ما ينجّر عن ترسيخ فكرة المهدوية عند الطلبة هو قوة الالتفاف حول المهدي والتسليم له في كل ما يقوله اعتقاداً في عصمته، وهو نوع من مزاحمة للنبوّة؛ فالأنبياء معصومون من الله وهذا ما يجعل مريداهم يتبعونهم دون شك أو ريب ويأثمرون بأوامرهم بكل إخلاص، ثم إن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على حنكة وذكاء المهدي بن تومرت عند توظيفه هذه الفكرة في دعوته، فكما أسلفنا سابقاً أن الله هو أعلم بنيه في تبنيه لهذه المبادئ ومقاصده، لأن الرجل لم يعرف عليه ميل إلى الدنيا في كل مجالاتها حتى قبض، إلا أن توظيفها لأغراضه السياسية أمر ظاهر جلي مع كل التجاوزات التي تخللت أسلوبه الدعوي، فالاشتغال بالسياسة في حدّ ذاتها ليست عيباً، ومن ذلك حديث النبي ﷺ: "كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء"⁵⁵.

ولكن الأسلوب الذي انتهجه في تحقيق أغراضه السياسية من عنف وتشدد وغلو في تطبيق الأحكام الشرعية من جهة، وتبنيه لأفكار لا تمت للسنة المطهرة بصلة من جهة أخرى هو الذي جلب له كل تلك الحملة الشعواء من النقد والمآخذ قديماً وحديثاً.

أما ما عرف عند الموحدين من معاداة لكتب الفروع، فقد بدت بوادره مع ابن تومرت نفسه، "فقد تميز على فقهاء السلف في معرفة الشريعة بأنه يرجع في أصول العقيدة والشريعة الإسلامية إلى القرآن والسنة وإجماع الصحابة وهو بذلك يطرح الأصل الرابع عند أهل السنة وهو القياس وإجماع الفقهاء أو العلماء الذي يدخل في (الظن) كما يسميه ابن تومرت، فإجماع العلماء لم يعد له مبرر لأن المهدي بوصفه الإمام المعصوم يقوم مقامه ويغني عنه واجتهاداته لها قيمتها الشرعية"⁵⁶، فكان ينكر كتب الرأي والتقليد، وكان يتبنى المذهب الظاهري لابن حزم كما ذكرنا من قبل.

وقد أمر عبد المؤمن بن علي "بإحراق كتب الفروع وردّ الناس إلى قراءة كتب الحديث واستنباط الأحكام منها، وكتب بذلك إلى جميع طلبة العلم في بلاد الأندلس والعدوة"⁵⁷، "ولكن عبد المؤمن ركن إلى التراجع، ولم يتابع تنفيذ أمره هذا، وربما كان سبب تراجعه أنه خشي أن يثور في وجهه علماء المالكية، الذين كانوا يحتلون أعظم مكانة في نفس الشعب"⁵⁸، حتى جاء عهد يعقوب فانقطع علم الفروع وخافه

الفقهاء وأمر بحرق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله ﷺ والقرآن، فأحرق كتباً كثيرة كمدونة سحنون، وكتاب التهذيب للبرادعي، وواضحة ابن حبيب وغيرها، وفي هذا الباب نذكر ما رواه أبو بكر بن الجد أنه لما دخل أول مرة عند أبي يعقوب وجد "بين يديه كتاب ابن يونس، فقال لي: يا أبا بكر، أنا أنظر في هذه الآراء المتشعبة التي أحدثت في دين الله، أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أو أكثر من ذلك؟ فأني هذه الأقوال هو الحق؟ وأيها يجب أن يأخذ به المقلد؟ فافتتحت أبين له ما أشكل عليه من ذلك، فقال لي وقطع كلامي: يا أبا بكر، ليس إلا هذا، وأشار إلى المصحف، أو هذا وأشار إلى كتاب سنن أبي داود، وكان عن يمينه، أو السيف"⁵⁹.

إلا أن الفقه قد استفاد من هذه الحركة الظاهرية ونبغ في هذا العصر فقهاء عظام، يستنبطون الفقه من معين الكتاب والسنة⁶⁰، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: إبراهيم بن الكماد المرادي الفاسي (ت 663هـ) كان أحفظ أهل زمانه لحديث رسول الله ﷺ وأذكرهم للتاريخ والرجال والجرح والتعديل والخلاف العالي، يقوم على الكتب الخمسة قياماً حسناً، وعلى دراية بأسانيدھا ومتونها ويستوفي خلاف الفقهاء ويميل إلى الظاهر⁶¹، وعلي بن محمد ابن خيار البلنسي كان فقيهاً مشاوراً تاركاً للتقليد مائلاً إلى النظر⁶².

إن هذه السياسة المذهبية الحريصة على استبدال المذهب المالكي بالمذهب الظاهري "تعبّر عن رغبة لدى خلفاء الموحدين في تجاوز الشرعية المالكية التي بقيت على ولائها للمرابطين، وأدت إلى الكثير من الاضطرابات في الدولة، خاصة ثورة بني غانية التي كانت رفضاً لمهدوية بن تومرت ووفاء لدولة صنهاجة اللثامية، ولما أيقن الموحدون باستحالة إحداث التغيير، حاولوا استثمار الانتصار للمالكية في صراعاتهم البينية، وهو ما بادر به المأمون بن المنصور سنة (627-630هـ)"⁶³، حيث ورد في الاستقصاء أن الخليفة المأمون الموحي قد صعد المنبر بعد مبايعته فخطب في الناس ولعن المهدي وقال: "لا تدعوه بالمهدي وادعوه بالغوي المذموم، وإنا قد نبذنا أمره النحس.. وكل ما فعله المهدي وتابعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل إلى إبقائه"⁶⁴.

وإذا كان بوسعنا محاولة تقييم نسبي لمدى نجاعة تلك المبادئ الموحدية أو التومرتية في تربية المجتمع وبنائه الفكرية والعقدية، نجد أن الخلفاء ظلوا في صراع دائم مع العلماء والمحكومين بشكل عام من أجل ترسيخ مبادئهم وطمس ما كان الناس عليه في زمن المرابطين عقدياً وفقهياً، فإن "الساسة والفقهاء كانوا غالباً ما يتبعون التنظير الفقهي والتوجه السياسي من خلال التدريس وأساليب الدعاية والإقناع والشحن والاصطفاف المذهبي"⁶⁵، وفي المقابل ظل الفقه المالكي وفقهاؤه على نصيب وافر في العدوتين رغم كل الجهود التي بذلوها ولم يستطيعوا طمسه، وكذلك فكرة المهدوية التي بدأت تتلاشى شيئاً فشيئاً حتى تم إنكارها جملة واحدة زمن حكم المنصور، ولعل بسقوط هذه الفكرة بدأت الدولة الموحدية بالانهيار والضعف تأصيلاً لرأي مالك بن نبي بما عبر عنه بالفكرة الدينية.

ثانياً: المناهج التربوية والتعليمية الموحدية

لم تتسم العملية التربوية التعليمية في التجربة الموحدية بالاعتباطية والفوضى العلمية بل اتصفت بالنظام والمنهجية، مما أسهم في الحركة العلمية ومن ثم تحقيق التوازن على مستوى المجتمع الموحي، وهذا ما تحتاجه أي دولة لبناء حضارتها إلا أنها تختلف في تصورها وتطبيقها لتلك المناهج التربوية لتشكل تميزها وخصوصيتها، وانطلاقاً من ذلك سنتعرض في هذا المضمون إلى بعض المناهج التي انتهجها الموحدون والحكام على وجه الخصوص لنصرة دعوتهم ونشرها على أوسع نطاق، وإقامة صرح قوي للدولة في كل مفاصلها.

أ- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: يعتبر مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهم منهج اعتمد عليه مؤسس دولة الموحدين بن تومرت في دعوته انطلاقاً من الفساد الذي كان يراه في عهد المرابطين، وكان يحز في نفسه من أجل التغيير، "فانطلق وجماعته إلى مراكش حيث عقدوا عدة مجالس ألقوا فيها درس الوعظ والإرشاد قائمين بالمعروف ناهين عن المنكر"⁶⁶، واضعاً بذلك المنهج التربوي والتعليمي لأصحابه وطلبته القائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أساس وسيلة التعلم وأداته؛ فبه تُستبان الحقائق وتُكشَف الأباطيل والأخطاء، دون أن يخاف الإنسان في ذلك لومة لائم. ويحكي البيهقي أن: "طلبة فاس كانوا يهرعون إليه من كل مكان، وكانوا ملازمين الإمام المعصوم يأخذون عنه العلم، فلما كان يوم من الأيام دخل علينا، وقال أين الصبيان؟ فقلنا هنا، نحن حاضرون، قال اخرجوا واقطعوا مقارع من شجر التين الذي في أسفل الوادي الذي لا ينتفع به وأقبلوا بسرعة، فلما أحضرنا ما طلب منا أمرنا أن نخفي مقارعنا، وسرنا معه وما علمنا أين يتوجه، حتى وصلنا زقاق بزقالة، فأمرنا بأن نتفرق على الحوانيت وكانت مملوءة دفوفاً ومزامير وعيدانا وكيترات، فقال لنا المعصوم اكسروا ما وجدتم من اللهو"⁶⁷.

ولم يتخل ابن تومرت عن منهجه في دمج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتعليم، فما اجتاز ببلد إلا وغيّر فيه المنكر، ويظهر الزهد في الدنيا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويدرس العلم⁶⁸. قد يتساءل شخص ما فيقول لم كان منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائماً وبارزاً في عهد ابن تومرت دون غيره من الحكام والخلفاء؟ فيبدو جواب ذلك: أن باقي الحكام والأمراء كانوا هم ولالة الأمور وبيدهم الأمر كله، فلا يستطيعون الإنكار على أنفسهم إلا أنهم كانوا يستمعون إلى النقد ويردون عليه بمثله في بعض الأحيان، كما جاء في بعض الروايات بأن عبد المؤمن "كان يأمر العلماء بالرد على من يطعن في حكومة الموحدين وفي المبادئ التي تقوم عليها، ومثال ذلك ما أمر بكتابته ضد الكاتب القرطبي أبي الحسن عبد الملك بن إياس"⁶⁹، على غرار ابن تومرت الذي كان في بداية دعوته مستضعفاً أعزلاً ويرى الكثير من المنكرات التي استساغها الناس وحكام المرابطين، فانتهج ذلك النهج في تعليمه حتى أثمر ذلك بمثل تلميذه عبد المؤمن، الذي تشبع بمبادئ شيخه ابن تومرت وثار في وجه المنكرات التي أقنعه شيخه بعدم جوازها وانتهاج أسلوب التشدد في مواجهتها.

وإن كان البعض يرى "أن الدعوة الموحدية كانت في الأساس دعوة سياسية ترمي إلى إقامة إمارة كبرى في المغرب متخذة شعار الاحتساب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ستاراً تخفي وراءه أهدافها ونواياها"⁷⁰.

ويمكن الرد على ذلك بالتساؤل: هل توجد دعوة بدون سياسة في التاريخ الإسلامي؟ والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخ المسلمين، إلا أنه لا ينبغي أن تكون السياسة هي الغاية، وإنما هي وسيلة لنشر مبادئ الدعوة، التي يدعو لها زعماءها الروحيون والفعليون.

ب- وحدة السن ومراعاة التدرج في ترقية التلاميذ: من الأسس التي اعتمد عليها الموحدون في نهجهم التدريسي هو تقسيم الطلبة إلى قسمين: صغار الطلبة وكبارهم، وكان يطلق لقب الطالب -حسب أبي سعيد بن لب الأندلسي (ت782هـ)- عندما يبدأ في حفظ القراءات السبع، ويشرع في طلب العلم والتردد إلى أهله⁷¹، ولا يقوم بذلك إلا في بداية سن المراهقة، ابتداءً من سن الثانية عشر أو الرابعة عشر سنة في الغالب⁷²، بعد أن يكون قد أتم ما برمج عليه في الكتاب مما ذكرناه سابقاً، إلا أن عبد المؤمن اتبع نظاماً دقيقاً ومضبوطاً ومميزاً في آن واحد، وذلك في توحيد لسن الطلبة الدارسين في المدرسة العامة

لتخريج الموظفين بمراكش، حيث قال صاحب الحل الموشية: "أنه كان يدخل الحفاظ صغار الطلبة في كل جمعة بعد الصلاة داخل القصر فيجتمع الحفاظ فيه؛ وهم نحو ثلاثة آلاف، كأنهم أبناء ليلة من المصامدة وغيرهم"⁷³، وفي هذا التوحيد العمري للحفاظ سر يكمن في عدم التفاضل بين الطلبة، فيشعر صغير السن بعدم قدرته على إدراكه ما بلغه من العلم من يفوقه سناً، فيشعر بالعجز والهوان وتموت فيه روح المنافسة والإرادة فتخبث نفسه ويفوته التحصيل.

كما راعى الموحدون مسألة مهمة في العملية التربوية التعليمية ألا وهي التدرج في ترقية التلاميذ والطلبة، وهذه المسألة حث عليها جميع منظري التربية المسلمين وإن اختلفوا فيما يقدم وما يؤخر. ومن الأمثلة على ذلك، ما جاء عن الحفيد أبي بكر بن زهر الأندلسي (507هـ/595هـ) أنه "أتى إليه من الطلبة اثنان ليشغلا عليه بصناعة الطب فلازماه مدة وقرأ عليه شيئاً من كتب الطب ثم إنهما أتياه يوماً وببدا أحدهما كتاباً صغيراً في المنطق، فلما نظر ابن زهر إلى ذلك الكتاب قال ما هذا؟ فلما وجده في علم المنطق رمى به ناحية ثم نهض إليهم حافياً ليضربهم، فهربوا وتبعهم يعدو على حالته تلك وهو يبالي في شتمهم ورجع عنهم عن مسافة بعيدة، وبعد مدة انقطعوا فيها عن مجلسه، ثم توسلوا إليه واعتذروا بأن الكتاب ليس لهم، فتخادع لهم وقبل معذرتهم واستمرا في قراءتهما عليه صناعة الطب، ولما كان بعد مدة مديدة أمرهما أن يجيدا حفظ القرآن، وأن يشغلا بالتفسير والحديث والفقه، وأن يواظبا على مراعاة الأوامر الشرعية والاعتداء بها، فلما امتثلا أمره، وصارت مراعاة الأمور الشرعية لهما سجية وعادة، كانا يوماً عنده فإذا به يخرج لهما الكتاب الذي كان رآه معهما في المنطق، وقال لهما الآن صلحتما لأن تقرأ هذا الكتاب وأمثاله علي وأشغلها فيه"⁷⁴.

وهذا كان مراعاة لعقولهما وخوفا عليهما أن لا يستوعبا الذي هما بصدد دراسته؛ فينجر عنه سوء الفهم ومغالطات كبيرة تحيد بصاحبها عن جادة الصواب، كما أن عدم التدرج في التعليم والقفز من علم إلى علم يجعل صاحبه لا يحصل أي فن من ذلك، وهذا ما تفتن إليه العلماء في ذلك العهد، والأمثلة على ذلك كثيرة لا يتسع المقام لذكرها، فركزوا على هذا المنهج، واستطاعوا أن يُخَرِّجُوا على أيديهم نوابغ في العلم، تغلب عليهم سمة الموسوعية التي نفقدها اليوم.

ج- تعليم البنات: لم تتمتع المرأة بمستوى النفوذ والحرية الذي كانت تتمتع بها نظيرتها في الدولة المرابطية وذلك لتشدد ابن تومرت داعية الموحدين في منع اختلاط الرجال بالنساء⁷⁵، ولكن هذا لا يعني عدم استفادتهن من التعليم الإلزامي، فحين أحس ابن تومرت بقرب أجله جمع الرجال والنساء ليعظهم، كما يذكر ابن القطان حيث يقول: "وذلك أنه لما تهادى مرضه أي ابن تومرت، خرج راكباً على بغلته وجمع الناس ليسمعهم كلامه ووداعه وأمر أن يكون الرجال أمامه والنساء خلفه ليسمع كلهم كلامه"⁷⁶، ورسالة عبد المؤمن التي سبق وتعرضنا لها يأمر فيها بتعليم النساء والرجال والعبيد، ويرى ذلك بأنه من الضروري من الدين، وهذا دليل قاطع على أن المرأة لم تكن محرومة بالكلية من التعليم، ولكن كان نصيب البنات من التعليم الواسع محدوداً جداً مقارنة بالذكور، وقد انحصرت دائرة المتعلقات في صنفين من البيوتات: البيوتات الحاكمة، والبيوتات العلمية الحضرية⁷⁷، في الصنف الأول اشتهرت (زينب بنت يوسف بن عبد المؤمن) حرم الأمير عبد الرحمن بن عمر بن عبد المؤمن، أخذت عن أبي عبد الله بن إبراهيم علم الكلام وغير ذلك، وكانت عالمة صائبة⁷⁸.

أما الصنف الثاني وهو البيوتات العلمية الحضرية، فقد كانت تحرص على تعليم بناتها جل العلوم التي يتعلمها الذكور فمنهن: أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي؛ نبيلة حسبية، تجيد قراءة القرآن

وتشارك في فنون من الطب، وإقراء مسائل الطب، وتنظم أبياتاً من الشعر، نشأت في حجر أبيها لا يدخر عنها تدريجاً ولا سهماً، حتى نهض إدراكها وظهر في المعرفة حراكها، ودرسها الطب ففهمت أغراضه، وعلمت أسبابه وأعراضه⁷⁹.

أما في البداية فقد كان الآباء يرسلون بناتهم للكتاتيب لحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة ويندر أن يتعلمن العلوم التي يتعلمها الذكور⁸⁰، ويتضح لنا أن تعليم العوام كان مركزاً على العلوم الدينية دون العقلية على وجه العموم، إلا أن هذا لم يؤثر على رقي المجتمع وتحضره لأن المرأة قد أخذت المادة الأساسية التي تحتاجها لبناء شخصية أولادها وتربيتها لهم وفق أسس دينية صحيحة، فهي بذلك قد أدت الدور التربوي المنوط بها بكل جوانبه وبصفة خاصة الجانب التعليمي، وهذه ميزة من مميزات المجتمع المغربي في عهد الموحدين.

د- المقررات التعليمية: كانت الكتاتيب معروفة حتى قبل الموحدين ببلاد المغرب، إذ هي أماكن المرحلة الأولى التي كان يتعلم فيها صبية المسلمين مبادئ القراءة والكتابة، ويأخذون بعد ذلك حفظ القرآن الكريم، ثم يتلقون بين جدرانها أولويات علوم الدين واللغة التي تهيئهم لتلقي العلوم بالمساجد⁸¹، ويذكر المنوني: "أن الذي استقيته من مراجع عديدة هو أن منهاج الكتاتيب في هذا العهد كان جارياً على مذهب المغاربة في تعليم القرآن"⁸²، وقد تعرض موضوع الاختصار على حفظ القرآن وتقديمه عن مختلف العلوم في بداية تعليم الصبيان إلى خلاف قائم بين منظري التربية والتعليم كالقاسبي وابن العربي وابن خلدون.

أما الرباط على عهد المرابطين فكانت بمثابة مدرسة ثانوية، والتعليم به هو شرح لأصول التعليم بالكتاب؛ فهناك تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف، وكتب الفقه، وشعر المواعظ، التي تسمى (الرقائق) التي تعقد لها مجالس خاصة في يومي السبت والخميس من كل أسبوع، وفي عهد الموحدين استطاع المهدي ابن تومرت بمنهجه التربوي اكمال رسالة الربط التي بدأها المرابطون إلا أنه طور بساطة التعاليم بإدخال علم الكلام وعقيدة التوحيد أساس الثقافة الموحدية، ولكن سرعان ما نافست الرباط مؤسسات أخرى جعلت دوره الثقافي يتضاءل كالزاوية والمدرسة والمساجد الجامعة، حتى انزوى الرباط على نفسه وأصبح مأوى للصوفية⁸³.

وبعد أن ينتهي الصبية من مرحلة الكتاتيب ويحصلوا على ما يرمج لهم، ينتقلوا إلى المساجد أو الجوامع ليواصلوا مسارهم العلمي، وكانت المساجد على نوعين؛ صغيرة وكبيرة جامعة، فالمساجد الصغيرة أو مساجد الأحياء غير تابعة للحكومة، ولا دخل لها في إدارتها إذ يقوم بتسييرها أهل الأحياء، أما المساجد الجامعة فهي واسعة الأركان، تقام فيها الصلوات الخمس والجمعات وصلاة العيدين، وكانت مراكز للحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية، فقد اتسع ليستوعب دراسات شتى شملت علم الكلام والفقه والفلسفة والنحو والأدب والطب⁸⁴.

أما فيما يخص المدارس، فكانت مدارس للدعاة والموظفين الموحدين، وهي تسير نزعة الدولة الموحدية وترضي برامجها وثقافتها، فهناك المدرسة العامة لتخريج الموظفين، والمدرسة الملكية لتخريج الأمراء، ومدرسة تعليم فن الملاحة⁸⁵، وقد أفادنا صاحب الحل الموشية عن المنهاج الخاص بالمدرسة العامة لتخريج الموظفين بمراكش فقال: "وربى عبد المؤمن الحفاظ صغار الطلبة بحفظ كتاب الموطأ وهو كتاب أعز ما يطلب، وغير ذلك من توالييف المهدي"⁸⁶، ومن المؤكد أن هناك مقررات أخرى في نظام الحكم ومختلف ميادين العلوم لأن هؤلاء الطلبة هم الذين استبدلهم مكان الأشياخ وولاهم على الولايات والأقطار محتجاً بأن العلماء أولى منهم.

كما يبقى التعليم الإجباري الذي تفرد به عبد المؤمن -وقد أشرنا إليه من قبل- مفروضا على النساء والرجال والعبيد والأحرار، "يأمرهم بقراءة عقيدة ابن تومرت بالأمازيغية (التوحيد)، ولمن يفهم العربية (المرشدة)، مؤكداً على العوام حفظ أم الكتاب وما تيسر من القرآن"⁸⁷، وكذا في "مجموع أحاديث الصلاة وما يتعلق بها، الذي جمعه بأمر يعقوب طائفة من العلماء، فكان يمليه على الناس بنفسه ويأمرهم بحفظه"⁸⁸.

هـ - الاهتمام بالأمازيغية واستخدامها في التربية والتعليم: بدأ الاهتمام بالأمازيغية في كل شؤون الحياة وفي التعليم على وجه الخصوص واضحا جليا منذ بداية الدعوة الموحدية، "فقد ألف ابن تومرت لأصحابه كتابا سماه "التوحيد" باللسان الأمازيغي، وألف لهم كتابا سماه "القواعد" وآخر سماه "الأمانة" دونه بالعربية والأمازيغية وكان أفصح الناس في العربية والأمازيغية ينقل إليهم المواعظ والأمثال، ويقرب لهم المقاصد، فجذب نفوسهم واستجلب قلوبهم وسهل عليهم التعليم"⁸⁹، وكان هذا من أجل التبسيط للناس، وإيصال العلم لهم من أقرب الطرق حتى يختلج صدورهم وتأنسه نفوسهم.

وكان الموحدون "لا يقدمون للخطابة والإمامة إلا من يحفظ التوحيد باللسان الأمازيغي"⁹⁰، ولا يفهم هنا أنهم كانوا يخطبون أو يعيدون الخطبة باللغة الأمازيغية، فهذا ليس هو المراد من العبارات المشار لها وإن أوهمت ذلك، وإنما المراد أنهم كانوا يشترطون في الخطيب ما ذكر من حفظ التوحيد -توحيد ابن تومرت- بالأمازيغية.

كما أن تفسير كل هذا الاهتمام بالأمازيغية يكمن في كون القوم شديدي الاهتمام بأمور الدين من التوحيد والفقه وما في حكم ذلك، "وكانت نشأتهم في معقل كبير من معاقل الأمازيغ بالمغرب الأقصى -المصامدة-، ومن أكبر الأسباب التي حفزتهم أن يلقنوا تعاليم الدين ويبيحوا قراءتها باللغتين العربية والأمازيغية، لمن لا يفهم إلا هذه اللغة الأخيرة في تدريبهم"⁹¹.

و- الترويح عن النفس في التربية وربط الخدمة العسكرية بالتعليم: اعتمد عبد المؤمن على نظام تربوي تعليمي جد راق، ينم عن حذاقة الرجل وعن استراتيجيته التربوية التي انتهجها مع الطلاب والحفظة في المدرسة التي أنشأها، وذلك من خلال دمجها للرياضة في البرنامج التعليمي من أجل الترويح عن النفس واستعادة نشاطها، "فكان يوجههم إلى ما يبتغيه من سرعة الحفظ والتدريب، فيأخذهم يوما بتعلم الركوب، ويوما بتعلم الرمي بالقسي، ويوما بالسباحة في بحيرة أنشأها لهم خارج بستانه، في مربع ضلعه نحو ثلاثمائة ذراع، ويوما بالتدرب على إصابة الهدف على قوار وخوازيق صنعها لهم بتلك البحيرة، وذلك لكي يجعل منهم رجالا مثقفين مدربين مقتدرين"⁹²، وهذا يدل على أن ابن تومرت كان في منهجه التربوي يهتم أكثر بالتربية العسكرية، لأنه يعلم أتباعه على الاستعداد للجهاد وللمعارك القادمة مع خصومه المرابطين.

كما أشرف وقام الخليفة عبد المؤمن بنفسه على متابعتهم ومراقبتهم واختبار قدراتهم ومدى استيعابهم لبرنامج التعليم الذي سطره لهم، ولا يكفل ذلك لأحد من أعوانه⁹³، فكان يجمعهم يوم الجمعة بعد صلاة العصر في قصره، ويمتحنهم فيما درسوا، ويوجه إليهم الأسئلة تشجيعا لهم على الاجتهاد، وليجعل منهم رجالا أكفاء قادرين على نفع البلاد في السلم والحرب، وفي أيام أخرى كان يمتحن تدريباتهم العسكرية، فيختبرهم في الطعن بالحرايب والرمي بالقوس والسهام والمبارزة وركوب الخيل، وفي السباحة والمعارك البحرية في بحيرة أعدها ووضع فيها سفنا كبيرة وصغيرة ليتدرب الشباب على قتال البحر،

وقيادة السفن، والوثب على سفن العدو، و مزاوله جميع التمارين البدنية التي تقتضيها الخدمة البحرية، ويقدم للمهرة الممتازين الهدايا الثمينة بنفسه، وكان تعليمهم جميعا على نفقة الدولة⁹⁴.

لقد كانت هذه التدريبات من بين الاستراتيجيات التربوية لعبد المؤمن من أجل ألا ينقطع الطلاب بالعلم عن الحرب والجهد وتخلد نفوسهم إلى الراحة وحب الدنيا وكرهية الموت فينهزموا وتضعف دولتهم، ومن ذلك أيضا إنشاء رجال ذوي قدرات علمية وحربية يصلح استعمالهم حيث ما اقتضت الضرورة، وهذه ميزة عظيمة بطبيعة الحال جنت ثمارها دولة الموحدين فهؤلاء هم من ساسوا البلاد ومنعوا فيها بعد وكان لهم الفضل في قوتها وبسط نفوذها.

خاتمة:

- انطلاقا مما تمّ عرضه فإننا توصلنا إلى مجموعة من النتائج والتوصيات مفادها كالاتي:
- تتناغم الأساسات الثلاثة المتمثلة في دور العلم والعبادة كالمساجد والزوايا والرباطات وغيرها؛ والتربية؛ والعلم، لتكون علاقة جدلية تستمد كيانه وكمالها من بعضها البعض، لذلك وجب على الدارس لأي باب من الأبواب الثلاثة سواء دور العلم أو التربية أو التعليم أن يسلط الضوء وأن يتطرق للمفاهيم الأخرى، من أجل إعطاء نظرة شاملة ومتكاملة للموضوع، وهذا ما استجليناه من مناهج التربية والتعليم التي انتهجها حكام الموحدين التي تطرقنا لها.
 - قام ابن تومرت بجهود علمية وتربوية مشهودة إلا أن التجاوزات والعنف المبالغ فيه يبقى متوقفا عنده نظرا للتناقض الوارد في شخصيته وحاله حتى تدرس دراسة عميقة تكشف اللبس إلا أن شيئا من الصرامة والشدّة في التربية والتعليم لا بد منه من أجل التحصيل وتحقيق الانتفاع، وبخاصة إذا اعتاد الأفراد على الفوضى وعدم الانضباط.
 - كما أشتف من خلال إجبارية التعليم ومجانيته هدفان ونتيجتان في نفس الوقت يتمثلان في: نشر العلم ومحاربة الجهل والفساد الفكري الذي كان في آخر عهد المرابطين من جهة، ومن جهة أخرى بث الأفكار والمبادئ الموحدية على أوسع نطاق لتشمل كل طبقات المجتمع النساء والرجال والعبيد، كما تفتن لمخاطبتهم باللغة الأمازيغية التي كانت متداولة فيما بينهم حتى يسهل الإدراك والاستيعاب على المتلقي، فضلا عن الجذب والإقناع لما لها من أثر نفسي في تحقيق ذلك.
 - سار الموحدون وفق مناهج تربوية وتعليمية ناجعة كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوحيد سن المتعلمين، ومزج التربية بالترويح، وترتيب مراحل الدراسة انطلاقا من المقررات التعليمية، وغيرها من المناهج التي مهدت لنهضة علمية آتت أكلها حتى بعد سقوط الدولة وعلى رأسهم العلامة ابن خلدون، الذي كان نتاج تلك المناهج التربوية والتعليمية الموحدية.
 - كان البعد السياسي واضحا جليا في العملية التربوية والتعليمية الموحدية، بغض النظر عن التقويم والتفسير الإيجابي أو السلبي لذلك فالأمر يقتضي دراسة خاصة ومعقدة وتجميعية وموضوعية لم تدرس من قبل يرجح من خلالها التفسير الأصوب لمسار الدعوة الموحدية ابتداء بمؤسسها ابن تومرت.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن الأثير عز الدين أبي الحسن الجزري (ت 630هـ)، الكامل في التاريخ، تج: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 4، 2002م، ج 9.
- أسكان الحسين، تاريخ التعليم في المغرب خلال العصر الوسيط (1-9هـ/157م)، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المغرب، د ط، 2004م. الدولة والمجتمع في العصر الموحدي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المغرب، د ط، 2010م.

- أنشباخ يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، ج2، 1996م.
- ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة ابن يونس السعدي الخزرجي (ت 688هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المطبعة الوهبية، د بلد، ط1، ج2، 1882م.
- بويدي حسين، بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع الذهبي- قراءة في الاستغلال السياسي والتأثير العقدي والفقهية، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، ع 23، جوان 2018م.
- بروفينسال لافي، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، رباط الفتح، الرباط، د ط، 1941م.
- بلغيث محمد الأمين، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين (479هـ-539هـ)، الأعمال غير الكاملة (للأستاذ محمد الأمين بلغيث)، المجلد 3، القسم الأول، دار البصائر، الجزائر، 2011م، الأعمال قيد التفسير. الربط في المغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، عبد الحميد حاجيات، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1986م-1987م.
- البيهقي أبي بكر بن علي الصنهاجي (ت 559هـ)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، د ط، 1971م.
- جلاب حسن، الفكر والأدب في عهد الموحدين، مجلة دعوة الحق، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر أسست سنة 1957، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد 249 رمضان 1405/ يونيو 1985، المملكة المغربية، متاح على: <https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/6473> (18-08-2032)
- بوجندار محمد، مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، مطبعة الأمانة، الرباط، ط 1، 2012م.
- الحجاجي حسن بن علي، مفهوم التربية الإسلامية، فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمنطقة مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1423هـ.
- حسن حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1980م.
- ابن الخطيب لسان الدين (ت 776هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2002م، ج1. الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، د ط، د بلد.
- ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د ط.
- ابن خلكان ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي زكريا (ت 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1970م، ج3.
- ديب صفية، المؤسسات التعليمية في بجاية ودورها التعليمي في عصري الموحدين والحفصيين من القرن (7-10هـ/ 13-16م)، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، عدد خاص، جوان 2020م.
- ابن أبي دینار القيرواني أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ط 1، 1996م.
- ربوح عبد القادر، منهج الإصلاح ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط حركة المهدي ابن تومرت، المجلة التاريخية الجزائرية، ع 9، 2018م.
- ابن أبي زرع أبو الحسن علي عبد الله الفاسي (ت 626هـ)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د ط.
- سيديو لويس، خلاصة تاريخ العرب، ترجمة محمد أحمد عبد الرزاق، مؤسسة هنداي سي أي سي، المملكة المتحدة، د ط، 2017م.
- ابن صاحب الصلاة أبو محمد عبد الملك (ت 594هـ)، المن بالإمامة، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987م.
- الصلابي علي محمد، دولة الموحدين، دار البيارق، عمان، الأردن، د ط، 1998م.
- العزاوي عبد الرحمن حسين، تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2011م.
- علام عبد الله علي، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، د ط، 1968م.

- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط 1، 1986م، ج 6.
- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 2، 1990م، ج 3.
- عيسى محمد عبد الحميد، تاريخ التعليم في الأندلس من القرن الخامس إلى سقوط الأندلس، التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات، مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، د ط، ج 2، د ت.
- فيلالي بلقاسم، البرامج التعليمية عند الموحدين، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، الجزائر، مارس 2017م، د عدد.
- بن قربة صالح، عبد المومن بن علي موحد بلاد المغرب، منشورات وزارة الثقافة والسياحة مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، د ط، 1985م.
- ابن القطان أبو علي حسن المراكشي (ت 646هـ)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، تح: محمود علي مكي، ط 1، 1991م.
- كنون عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط 2، 1961م.
- بولطيف لخضر، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط 1، 2009م.
- المباركفوري صفى الرحمان، الرحيق المختوم، دار الكتاب الحديث، الجزائر، د ط، 2014م.
- المراكشي أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي (ت 703هـ)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 1، 2012م، مجلد 1.
- المراكشي أبي محمد عبد الواحد بن علي (ت 647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 2006م.
- مسلم أبي الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، صحيح مسلم، دار الإمام مالك، البليدة، الجزائر، ط 1، 2018م، ج 2.
- المنوني محمد، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، ط 2، 1977م.
- النجار عبد المجيد، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط 2، 1995م.
- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1954م، ج 2.
- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى (ت 914هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى وأخبار أهل إفريقية والأندلس المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د ط، 1981م، ج 7.

الهوامش:

- ¹ - تعد مركزا علميا لتعليم المرابطين الثقافة الإسلامية والمعارف الدينية وإقامة للصوفية، محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين (479-539هـ)، الأعمال غير الكاملة (للأستاذ محمد الأمين بلغيث)، المجلد 3، القسم الأول، دار البصائر، الجزائر، 2011م، الأعمال قيد التفسير، ص 223.
- ² - عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، د ط، 1968م، ص 291.
- ³ - المرشدة: هي رسالة صغيرة الحجم لا تتجاوز صفحتين، فيها عرض موجز لمسائل العقيدة، خال من البراهين، ولعلها أكثر مؤلفات المهدي انتشارا في المشرق والمغرب لأنها تعتبر خلاصة لفكره العقدي، وقد شرحها الكثير من العلماء، ورد عليها وعارضها بعضهم، عبد القادر ربوح، منهج الإصلاح ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط حركة المهدي ابن تومرت، المجلة التاريخية الجزائرية، ع 9، 2018م، ص 71.
- ⁴ - ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د ط، ص 1669.
- ⁵ - صفى الرحمان المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الكتاب الحديث، الجزائر، د ط، 2014م، ص 157.

- 6- حسن بن علي الحجاجي، مفهوم التربية الإسلامية، فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمنطقة مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1423هـ، ص 7.
- 7- عبد الله علي علام، مرجع سابق، ص 287.
- 8- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د ط، ص 195.
- 9- صفية ديب، المؤسسات التعليمية في بجاية ودورها التعليمي في عصري الموحدين والحفصيين من القرن (7-10هـ / 13-16م)، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، عدد خاص، جوان 2020م، ص 4.
- 10- عبد الرحمن حسين العزاوي، تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2011م، ص 135.
- 11- عبد الله علي علام، مرجع سابق، ص 291/292.
- 12- ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 217.
- 13- محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، ط 2، 1977م، ص 24.
- 14- ابن الخطيب، الحلال الموشية في الأخبار المراكشية، د ط، د بلد، دت، ص 114.
- 15- هي عبارة عن مدرسة لعلم الملاحة ولقد جاء في منشور لإدارة الآثار أن الظاهر من آثار هذه المدرسة أنها أقدم من أبنية يعقوب المنصور باني الرباط. أبو عبد الله محمد بوجندار، مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، مطبعة الأمانة، الرباط، ط 1، 2012م، ص 46.
- 16- عبد الله علي علام، مرجع سابق، ص 291.
- 17- لويس سيديو، خلاصة تاريخ العرب، ترجمة محمد أحمد عبد الرزاق، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة، د ط، 2017م، ص 183.
- 18- "المارستان" أو "البيمارستان" كلمة فارسية الأصل تعني مستشفى ومعناها «محل المريض»، كانت للبيمارستانات في العصور الوسطى دورا للعلاج وكانت أيضا معاهد لتدريس الطب، صفية ديب، المؤسسات التعليمية في بجاية ودورها التعليمي في عصري الموحدين والحفصيين من القرن (7-10هـ / 13-16م)، ص 9/8.
- 19- ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 217.
- 20- ابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، تح: محمود علي مكي، ط 1، 1991م، ص 83.
- 21- عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط 2، 1995م، ص 71/72.
- 22- لخضر بولطيف، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط 1، 2009م، ص 31.
- 23- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 4، 2002م، ج 9، ص 198/199.
- 24- علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، دار البيارق، عمان، الأردن، د ط، 1998م، ص 71.
- 25- عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص 80/81.
- 26- محمد المنوني، مرجع سابق، ص 27.
- 27- لافي بروفينسال، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، رباط الفتح، الرباط، د ط، 1941م، ص 131/132.
- 28- عبد الله علي علام، مرجع سابق، ص 291.
- 29- صالح بن قربة، عبد المومن بن علي موحد بلاد المغرب، منشورات وزارة الثقافة والسياحة مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، د ط، 1985 م، ص 96.
- 30- عبد الله علي علام، مرجع سابق، ص 291.
- 31- أبي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م، ص 291/292.
- 32- عبد الملك بن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1987م، ص 50، 51.
- 33- عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 200.
- 34- موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة ابن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، منشورات دار الحياة، لبنان، بيروت، 1956م، ص 521/522.

- 35- عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 240.
- 36- ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 138.
- 37- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1970م، ج 3، ص 239.
- 38- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1980م، ص 38-415.
- 39- المصدر نفسه، ص 431.
- 40- حسن جلاب، الفكر والأدب في عهد الموحدين، مجلة دعوة الحق، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية و بشؤون الثقافة والفكر أسست سنة 1957، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد 249 رمضان 1405 / يونيو 1985، المملكة المغربية، متاح على : <https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/6473> (18-08-2032).
- 41- محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس من القرن الخامس إلى سقوط الأندلس، التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات، مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، د ب، د ط، ج 2، د ت، ص 508.
- 42- "هو العلامة أبو الوليد محمد بن أحمد بن العلامة المفتي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي، أدرك من حياة جده شهرا سنة عشرين، وتفقه وبرع، وسمع الحديث وأتقن الطب وأقبل على الكلام والفلسفة حتى صار يضرب به المثل فيها، وصنف التصانيف، وتأليفه كثيرة نافعة، في الفقه، والطب، والمنطق، والرياضي، والإلهي، وتوفي في صفر خمس مئة وخمسة وتسعون بمرآكش"، ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط 1، 1986م، ج 6، ص 522/523.
- 43- عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 240 / 242.
- 44- مصدر نفسه، ص 242.
- 45- أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 1، 2012م، مجلد 1، ص 743.
- 46- حسن علي حسن، مرجع سابق، ص 453 / 454.
- 47- عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 201، أنظر: ص 172 / 173، التعليق رقم 1 ص 188.
- 48- ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 173.
- 49- عبد الله علي علام، مرجع سابق، ص 303.
- 50- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط 2، 1961م، ج 1، ص 121.
- 51- مرجع نفسه، ص 121.
- 52- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1954م، ج 2، ص 78.
- 53- المصدر نفسه، ص 82.
- 54- الحسين أسكان، الدولة والمجتمع في العصر الموحي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المغرب، د ط، 2010م، ص 71-72.
- 55- أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: في وجوب الوفاء في بيعة الخلفاء الأول فالأول، دار الإمام مالك، البلدة، الجزائر، ط 1، 2018م، ج 2، ص 343.
- 56- محمد الأمين بلغيث، الربط في المغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1986م-1987م، ص 217-218.
- 57- الناصري، مصدر سابق، ص 112.
- 58- عبد الله علي علام، مرجع سابق، ص 308.
- 59- عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 278 / 279.
- 60- محمد المنوني، مرجع سابق، ص 52-53.
- 61- أحمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ص 84/85.
- 62- مصدر نفسه، ص 483.
- 63- حسين بويدي، بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع المذهبي- قراءة في الاستغلال السياسي والتأثير العقدي والفقهية، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، العدد 23، جوان 2018م، ص 220.
- 64- الناصري، مصدر سابق، ج 2، ص 238.

- 65- حسين بوبيدي، بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع المذهبي، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، مرجع نفسه، ص203.
- 66- عبد الرحمن حسين العزاوي، مرجع سابق، ص 114.
- 67- أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، د ط، 1971م، ص24/23.
- 68- ابن أبي دينار القيرواني أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط 1، 1996م، ص 101.
- 69- يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، ج2، 1996م، ص 54.
- 70- عبد الرحمن حسين العزاوي، مرجع سابق، ص 114.
- 71- أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى وأخبار أهل إفريقية والأندلس المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د ط، 1981م، ج 7، ص 264.
- 72- الحسين أسكان، تاريخ التعليم في المغرب خلال العصر الوسيط (1-9هـ/15/7م)، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المغرب، د ط، 2004م، ص 126.
- 73- ابن الخطيب، الحلال الموشية، ص 114.
- 74- ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص 524/523.
- 75- حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 355.
- 76- ابن القطان، مصدر سابق، ص 126.
- 77- الحسين أسكان، تاريخ التعليم في المغرب، ص 35.
- 78- محمد المنوني، مرجع سابق، ص 33.
- 79- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2002م، ج 1، ص 237.
- 80- الحسين أسكان، تاريخ التعليم في المغرب، ص 37.
- 81- عبد الله علي علام، مرجع سابق، ص 291.
- 82- محمد المنوني، مرجع سابق، ص 22.
- 83- محمد الأمين بلغيث، الربط في المغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، ص 279-281.
- 84- صفية ديب، المؤسسات العلمية في بجاية ودورها التعليمي في عصري الموحدين والحفصيين، مجلة الباحث، مرجع سابق، ص 5/4.
- 85- محمد الأمين بلغيث، الربط ودورها في المغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، ص 281.
- 86- الناصري، مصدر سابق، ص 114.
- 87- بروفينسال، مرجع سابق، ص 131/133.
- 88- أبي زرع، مصدر سابق، ص 204.
- 89- ابن الخطيب، الحلال الموشية، ص 80.
- 90- أبي زرع، مصدر سابق، ص 71.
- 91- محمد المنوني، مرجع سابق، ص 155-156.
- 92- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 2، 1990م، ج 3، ص 403.
- 93- بلقاسم فيلاي، البرامج التعليمية عند الموحدين، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، الجزائر، مارس 2017م، د عدد، ص 303.
- 94- يوسف أشباخ، مرجع سابق، ج 2، ص 51.